الباب السادس

الخاتمة

الباب السادس

الخاتمة

هذا ما أمكنني تقديمه من البحث في حياة معروف الرصافي شاعر الشعب العراقي وأفكاره الثورية الإجتماعية والسياسية التي تنعكس في أشعاره. ومما لاشك فيه أن الرصافي من كبار الشعراء اللغة العربية في العصر الحديث كما أنه فيلسوف كبير وداعية من دعاة الإصلاحي السياسي والإجتماعي. كان من مواليد 1875م. وتلقى دروسه الإبتدائية في المدرسة الرشدية العسكرية، ولم يحرز شهادتها. وتتلمذ لمحمود شكري الآلوسي في علوم العربية وغيرها، زهاء إثناعشر سنوات، واشتغل بالتعليم، ونظم أروع قصائده في الإجتماع والثورة على الظلم قبل الدستور العثماني، ورحل بعد الدستور إلى الآستانة، فعين معلماً للعربية في المدرسة الملكية، وانتخب نائباً عن "المنتفق" في مجلس "المبعوثان" العثماني، وانتقل بعد الحرب العامة الأولى 1918 م إلى دمشق ثم عين أستاذاً للأدب العربي في دار المعلمين بالقدس، فأقام مدة وعاد إلى بغداد فعين نائباً لرئيس لجنة الترجمة والتعريب ثم أصدر جريدة الأمل "يومية" سنة 1923 م فعاشت أقل من ثلاثة أشهر وعين مفتشاً في المعارف، فمدرساً للعربية وآدابها في دار المعلمين، فرئيساً للجنة الإصطلاحات العلمية، واستقال من الأعمال الحكومية سنة 1928 م فانتخب "عضواً" في مجلس النواب، خمس مرات مدة ثمانية أعوام، وزار مصر سنة 1936 م، وقامت ثورة رشيد عالي الكيلاني في أوائل الحرب العالمية الثانية فنظم أناشيدها وكان من خطبائها وفشلت، فعاش بعدها في شبه انزواء عن الناس إلى أن توفي ببيته في الأعظمية ببغداد.

ترك الرصافي آثارا كثيرة منها المطبوع و منها ما لم يطبع.

فالمطبوع منها:

1) الرؤيا 2) الأناشيد المدرسية 3) دفع الهجنة في ارتضاح اللكنة 4) نفح الطيب في الخطابة والخطيب 5) تمائم التعليم والتربية 6) دروس في تاريخ الأدب العربي 7) رسائل التعليقات 8) على باب سجن أبي العلاء 9) عالم الذباب 10) الديوان

و غير المطبوع:

1) الشخصية المحمدية 2) الآلة والأداة 2) آراء أبى العلاء المعري 4) دفع المراق في كلام أهل العراق 5) الرسالة العراقية 6) خواطر ونوادر 7) الأدب الرفيع في ميزان الشر العربي.

بذل الرصافي تمام حياته تقريبا لدعوة إصلاح جوانب المجتمع المختلفة مثل أحوال السياسية والمرأة وأفكار الناس السيئة وغيرها. البيئة التي ولد وعاش فيها الرصافي كانت مليئة بالجهل والتقاليد الباطلة التي لا تسمح للمرأة فكان الرصافي داعيا إلى تحرير المرأة من الرق الذي ترسف في قيوده، ودعا إلى تثقيفها، بالدراسة والإسهام في نهضته الأمة، وشاركه في ذلك معاصروه من الكتاب فكانوا يدافعون عن شخصيته المرأة، وكان يعد تعليم المرأة أم شيئ إذ هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل، وهي عماد المجتمع، نلاحظ رأيه هذا في قصيدته "التربية والأمهات". ومن المسائل التي تعرض لها تجاه الدفاع عن المرأة فهي التعليم الذي مر ذكره آنفا. ومسألة الزواج والطلاق، فإن لذلك أثرا ملحوظا على المجتمع، ونقرأ رأيه هذا في قصيدته "حرية الزواج عندنا". والمسألة الثالثة هي "الحجاب" فإنه كان يعتبر الحجاب تقليدا فرضه المجتمع عليها، والعطف على الأيامي والأرامل والمطلقات والمنكوبات أحب المواضيع عنده.

أكد الرصافي على حرية الفكر ونادى بأعلى صوته ضرورة التفكير بمستقبل الإسلام والمسلمين والتدبير لمصالحه. كان يؤمن بفكرة الدولة الإسلامية ويعتبر الدولة الإسلامية حامية للمسلمين، ولكنه انتقدها على تصرفاتها الجائرة وظلمها على الناس،

كما نلاحظ في قصيدة "إيقاظ الرقود"، فإنه يصور فيها استبدادها وظلمها، وكذلك قصيدته "تنبيه النيام" يدعو فيها المجتمع العراقي إلى الخلص من العثمانيين.

وفي قصيدته "شكوى إلى الدستور" تحسس عميق لآلام الشعب العراقي وأن العثمانيين كيف يشتغلون خيرات العراق ويستعبدون أبناءها. ويصور في قصيدة "سوء المنقلب" حال قومه ونكباتهم التي تصيبهم بفضل هذا الحكم العثماني. كان الرصافي مخالفا للنظام الملكي ومؤيدا للنظام الجمهوري، كما يظهر من خلال دراسة قصيدته "رقية الصريع" التي وصف فيها استبداد العثمانيين الذين كان حكمهم سلطانيا ملكيا لا محالة.

وللرصافي مواقف سياسية عديدة قال عنها شتى القصائد، فإنه قد اكتوى بناء السياسة وكابد بها من المصائب والنكبات ما غدت به حياته منغصة، خاض السياسة في عهد السلطة العثمانية فثار ضدها وحارب السلطان العثماني عبد الحميد حربا مزيجا من الأدب والسياسة، وله في ذلك قصائد منها "تنبيه النيام"، و "رقية الصريع"، و "نحن في بغداد"، و "إيقاظ الرقود"، وكذلك له قصائد شتى في أغراض سياسية تسمي منها "بعد الدستور" وجاء الاستعمار الغربي ليحارب السلطة العثمانية فصارت بينهما حروب، فكان موقف الرصافي من ذلك موقف مسلم مخلص يؤثر الحكم الإسلامي على السلطات التي تحاربه من أعداء الإسلام، فكان يحذر الناس من الاستعمار الغربي، إلا أنه لم يتخلف عن انتقاد السلطة العثمانية الإسلامية في نزعاتها وغاياتها وعللها.

ثم لما حدثت خصومات بين أحزابهم فكان ذلك يحرز في نفس الرصافي، وكانت له غاية أصيلة من خلال كتاباته السياسية وهي تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة العربية.

وأما ميزات شعره السياسي فهي عدم خروجه عن عمود الشعر العربي في سائر أغراض شعره، والإلتزام بقواعد العروض ووحدة القافية، وكان غير متأنق في

شعره، لا يستجلب مفردات مصقولة، ولا خيالات مبدعة، وفي شعره السياسي نجد السهولة حينا، والقوة والألفاظ الجرزلة ذات الجرس الشديد، كما أننا نجد فيه صدق العاطفة والشعور، والصراحة في انفعالاته، إنه ينفذ بشعره السياسي إلى الغرض الأصلي الذي يريد معالجته وحدة الموضوع واستقصاء المعاني والتعبير اللفظي المتناسب مع الأحداث والمخاطب والتجنب عن الألفاظ الحوشية الغريبة أيضا من خصائص شعره السياسي.